

فلسفة التاريخ عند كلود ليفي شتراوس

د. نبيل رشاد سعيد
أستاذ مساعد - جامعة بغداد

تمهيد:

كان لعلم اللغة المعاصر اثر كبير على تصور "كلود ليفي شتراوس"^(١) للتاريخ، لا سيما المنهج اللغوي الوصفي عند "فردناند دي سوسير"^(٢) الذي صب اهتمامه على "النسق" أو "البنية" اللغوية، فجعل دراسة اللغة من حيث تاريخها وتطورها أمراً ثانوياً، فكان يرى بان واجب علماء اللغة تأسيس علم ثابت أو قانون للغة، والتخلي عن دراسة قضايا اللغة وتجزئتها لمعرفة تاريخها، بل الصحيح هو دراسة اللغة بصورتها الراهنة.

لقد بذل ليفي شتراوس جهوداً كبيرة ليثبت بان الحوادث التاريخية تدور كلها ضمن النسق أو البناء اللغوي الذي ظل موجوداً من ألاف السنين. وان ما تريده جميع البنيات المناقضة للتاريخية- حسب جان بياجيه- هو وضع أسس ثابتة تشبه الأسس الرياضية التي لا تخضع للزمنية المتغيرة، وهذه الصفة وجدتها البنيوية^(٣) في اللغة.

استعان ليفي شتراوس بالمنهج اللغوي لـ "دي سوسير" الذي اعتبر اللغة فوق الواقع والتاريخ، فدرسها من حيث علاقتها بأساسها الاجتماعي. ونظر ليفي شتراوس إلى اللغة من حيث هي نتاج لمجتمعها، ولكنه مضى ابعده مما ذهب إليه دي سوسير، فقد استعان بالقوانين التي تتحدد بها اللغة المنطوقة، ليصل عن طريقها إلى اصل العادات والمعتقدات، بل انه رأى ان أصل كل الظواهر الثقافية التي يتضمنها المجتمع من إبداع اللغة.

واللغة هي شبكة من "الرموز" لا قيمة لها إلا من خلال علاقتها بالعبارات أو الجمل الأخرى. فتصور ليفي شتراوس والبنويون الآخرون بان المجتمع يتكون بما يشبه الرموز أو العبارات اللغوية التي لا يمكن معرفة أجزائها إلا بواسطة الشكل العام أو الإطار الكلي لذلك المجتمع. لهذا اتخذوا (الأنموذج اللغوي) أساساً لمنهجهم لتطبيقه على العلوم الإنسانية كالانثروبولوجيا وعلم الاجتماع والأدب والتاريخ... اقتداء بالعلوم الطبيعية التي استخدمت النسق أو التنظيم الرمزي الرياضي الذي يطاول الزمن، والذي مكن الكيمياء والفيزياء والطب وغيرها من العلوم الطبيعية لصياغة القوانين الثابتة لموضوعاتها، وبدون هذا الأنموذج لا يمكن تأسيس علم. فالبنوية تبحث عن (علم ثابت دقيق)، فهي تعتقد بان عقل الانسان واحد في جميع مراحل تاريخ البشر، والفارق بين الماضي والحاضر من حيث التطور هو توسيع افكار اللاحق على السابق. فالبنويون حريصون على إيجاد العلم الثابت، ولهذا فهم يؤكدون على ان حركتهم هي "منهج علمي" وليست فلسفة أو مذهب، لأنها إذا كانت كذلك لتعددت مدارسها كما هو حاصل للوجودية والماركسية على سبيل المثال، ولهذا وجدنا الحركة البنوية تبشر "بالمشروع العلمي" للعلوم الإنسانية على يد كلود ليفي شتراوس- زعيم البنوية.

ونستطيع ان نجمل أهداف كلود ليفي شتراوس بالنقاط التالية:
أولاً: محاولة إيجاد علم دقيق للعلوم الإنسانية يشبه نسق قوانين العلوم الطبيعية الثابتة نسبياً، واستعان في محاولة ذلك "باللغة". وخلال دراسته الانثروبولوجية توصل إلى ان اللغة "ثابتة" بالرغم من تعاقب الأجيال، فهي الإطار يفكر من خلاله الانسان القديم والحديث، وبهذا وجد ان اللغة هي القانون الذي يفسر المجتمع وتاريخه متأثراً بـ "دي سوسير" الذي قال: "ان بين الأفراد كافة، أولئك الذين يربط اللسان بينهم، بهذا الشكل، نوعاً من المعدل الوسطي إذ أنهم دون أي شك يعيدون ويكررون- ليس تماماً وبالشكل نفسه، وإنما بشكل تقريبي- العلامات ذاتها مرتبطة بتصورات واحدة"^(٤).

ثانياً: حاول ليفي شتراوس ان يثبت ان التاريخ ساكن نسبياً، لان العقل البشري واحد في جميع العصور، حيث ان كل عقل "مبرمج" (يشبه

العقل (الالكتروني) وليس هناك فرق جوهري بين العقل البدائي والعقل المتحضر.

ثالثاً: الرد على النظرية القائلة بتقدم المجتمع البشري بصوره متدرجة من ادنى إلى أعلى، محاولاً ان يثبت بأن التاريخ ثابت نسبياً ، وانه ليس متدرجاً كالسلم في صعود مستمر، بل شبيه بحركة الشطرنج .

العقل الإنساني واحد ((ثابت)):

يرى ليفي شتراوس بان العقل البشري واحد ، وان التفكير الأسطوري ليس تفكيراً سابقاً على المنطق^(٥) ، بل انه تفكير منطقي ، على المستوى المحسوس ، يتضمن مقولات تجريبية مثل (النبيء و المطبوخ، الطازج والفاسد... الخ)، وهذه ادوات تصويرية تستخدم لاستخلاص افكار مجردة، فالتفكير الوحشي يشكل مع التفكير المتحضر علاقات زمالة لا علاقات تدرج أو تفضيل.

حاول ليفي شتراوس ان يثبت ان عقل الانسان واحد في كل مكان وزمان، وذلك عن طريق دراسته للأساطير المختلفة لقبائل الهنود الحمر بأمريكا الجنوبية، فوجد ان انساق القرابة، كما في العادات والمعتقدات وفي الانساب في جميع الاساطير "متشابهة"، وكلها رمزية. وعلى هذا لا يمكن دراسة انساق القرابة بالملاحظة التجريبية المباشرة وحدها، بل ان الدراسة السليمة تتم عن طريق مجموعة العلاقات الرمزية. هذه العلاقات الرمزية الموجودة في اللغات والثقافات متشابهة في الكيفية التي تقص بها المجتمعات القبلية أساطيرها . ان هذا التشابه يدل على ان العقل البشري واحد في اصل التفكير في جميع الأزمنة. فالمجتمعات القديمة تعبر عن افكارها ومشاعرها عن طريق الاساطير باعتبارها رموز ولغة، فلا يمكن فهم الاساطير إلا باعتبارها "لغة" أو لغات رمزية، تمثل نظاماً متسقاً من المقابلات مثل "النبيء والمطبوخ... الخ)) كما ذكرنا، فالأفكار القديمة هي نفسها تتولد في عقل الانسان الحديث، ولكنها توسعت ونمت. فهناك بذور واحدة في الإنسان، القديم والحديث، وكل ما يفعله الآن هو انه ينمي تلك البذور القديمة ويوسعها بطريقة جديدة. ففكرة التطور البيولوجي عند "لوكرينس كار"^(٦)، وفكرة الذرة عند "ديمقريطس" عرفت قبل أكثر من ألفي عام تقريباً.

ولما كان العقل البشري واحداً، أصبح من الممكن عن طريق الإطار أو النسق العقلي تفسير جميع بنيات المجتمعات المختلفة. "ان كل تقدم يظل محتفظاً بالنواة المركزية، مع إعادة تفسيره وفقاً لمقتضيات العصر. وهكذا يمكن القول ان نوع التقدم الذي تعترف به البنيوية هو ذلك الذي يرى ان طريق المستقبل يمر بالماضي، وان الوصول إلى الغد يتم من خلال مراجعة ما تم بالأمس. فان البذور القديمة موجودة دائماً، وكل ما تفعله هو اننا ننميتها بطريقة جديدة" (٧).

وهذا لا يعني بان ليفي شتراوس لا يعترف بوجود اختلاف بين "التفكير القديم" او "التفكير الوحشي" وبين "التفكير العلمي" او "التفكير المتحضر"، إلا انه يقول بأن هناك منطقاً واحداً للتفكير الأسطوري والتفكير العلمي، فالإنسان قد فكر دائماً بنفس القدر من القوة والإمعان، وليس هناك اختلافاً جوهرياً بين القدرتين انما لكل منهما طبيعته الخاصة، وان الاختلافات ثانوية تعني الأنماط الظاهرية فقط.

وقد أخطأ المؤرخ الأوربي حين نظر الى تاريخ الإنسانية مثل نظريته الى التطور البيولوجي، فنظر الى الثقافات على أساس التطور التدريجي. الا ان ليفي شتراوس رأى بان الثقافات المختلفة تسير في اتجاه "مواز" (٨) لثقافتنا المعاصرة، التي تبدو لنا تجميعية "تراكمية"، بينما الثقافات الأخرى جميعاً سكونية (ثابتة)، وليست بالضرورة هي كذلك، ولكن لان تطورها لا يعني شيئاً بالنسبة لنا. فالثقافات "متوازية" ومتزامنة، "ليس مستبعداً ان الأنماط الأكثر تنوعاً للبشر قد تعايشت في الزمن، اذا لم تكن قد تعايشت في المكان" (٩) فمعرفة الإنسان لها جذور واحدة، وأفكار الإنسان القديم موازية لأفكار الإنسان المعاصر، مع فارق في نمو وتوسع أفكار الثاني.

هل ان مسار التاريخ متدرج؟

يهدف ليفي شتراوس الى التخلي عن كثير من المفاهيم والمبادئ التي يعتبرها المفكرون الأوربيون حقائق يقينية او مسلمات، كفكرة تطور التاريخ، وفكرة وحدة الإنسان والتاريخ، والتفكير العلمي. فقد نظر هؤلاء الى التاريخ باعتباره "متدرج" وفي تقدم دائم من أدنى الى أعلى، والتفكير

العلمي في رأيهم مرحلة متقدمة في مقابل "السحر والأسطورة"، ووجدوا كذلك بين الإنسان والتاريخ.

يقف ليفي شتراوس في كتابه "الفكر المتوحش" وهو اللفظ الذي يطلق على تفكير الإنسان البدائي، موقفاً رافضاً تقريباً للتاريخ، لا من حيث ان التاريخ دراسة الماضي او دراسة الأحداث البشرية الماضية، بل من حيث هو "مقولة فلسفية كبرى" كانت لها أهمية عظيمة في القرن التاسع عشر.

ان نقد ليفي شتراوس لفكرة التطور التاريخي لا تعني انه يرفض العلوم المعاصرة، من اجل إنقاذ "الفكر المتوحش"، بل لديه ثقة مطلقة بما وصل اليه "العلم المعاصر" الذي أصبح قادرا على معرفة العالم بصورة واضحة. ولكنه ينتقد فلاسفة التاريخ والمفكرين الذين تحيزوا الى "التاريخ" فوقعوا في الأوهام. انه يرفض التصنيفات التقليدية للتطور او التقدم في تاريخ الحضارة البشرية، التي تقول بان التاريخ مطرد، وفي تقدم دائم نحو الأمام. وهذه هي فكرة أصحاب "المذهب التاريخي" الذي يهدف الى معالجة العلوم الاجتماعية، والوصول الى قوانين في إمكانها ان تتنبأ بالمستقبل او ما يسمى "بالتنبؤ التاريخي"، هذا المذهب يدرس القوانين التي يسير التطور التاريخي وفقاً لها. وكان لهذا التصور تأثير كبير على المجتمعات وسياساتها منذ هرقلطس الى افلاطون وهيجل وماركس.

ان أصحاب "المذهب التاريخي" يعتقدون بان البشرية في تقدم دائم، وفي صعود مستمر نحو الأمام، وهذا التقدم ناتج عن الاستفادة من الأخطاء التي يتم التخلص منها على مرّ الزمن لتصل البشرية الى مستوى ارفع وارفع، وبموجب هذا الرأي، فان البشرية قادرة على الوصول الى الكمال. ويبدو ان الدافع لهذا التصور هو التأثير بالتطور الذي شهده الإنسان في الصناعة والعلوم الطبيعية في قوانينها. وعلى هذا، فلاسفة التاريخ تصوروا بان الحضارات البشرية مرت في تطورها بمراحل متدرجة من البدائية الى المتحضرة وسترتقي أكثر في المستقبل. وأوضح مثال على ذلك (التفسير الماركسي) للتاريخ، فالماركسية ترى بان المجتمع الإنساني قد بدأ من المشاعية الى العبودية، ثم الإقطاع، والبرجوازية وثم الرأسمالية وبعدها الاشتراكية، والشيوعية في نهاية المطاف. وكل مرحلة من مراحل المجتمع هي أرقى من سابقتها وأكثر تعقيداً في تنظيمها، وهذا الرقي او التطور نحو

الأحسن "حتمي"، وفي التفسير الماركسي، انه يشمل الجنس البشري كله، وهو يحدث بسبب "الصراع بين الطبقات الاجتماعية". وفي هذا الصدد نشير الى رفض "كارل بوبر" للتفسير المتدرج للتاريخ على أساس انه علم يساعد على التنبؤ بالمستقبل بقوله: "فالتاريخ الذي يريد التاريخيون اعتباره وعلم الاجتماع شيئاً واحداً لا يعود ببصره الى الماضي فحسب، بل يلقي به أيضا الى المستقبل، وعلم التاريخ بهذا المعنى يدرس القوى المؤثرة بوجه عام، وقوانين التطور الاجتماعي بوجه خاص".^(١٠) فمن الصعوبة "إمكان قيام علم تاريخي اجتماعي يقابل علم الطبيعة النظري. ولا يمكن ان تقوم نظرية علمية في التطور التاريخي تصلح ان تكون أساسا للتنبؤ التاريخي"^(١١). وما يشبه هذا، يعتقد "اشلي مونتاغيو" بأن العمليات التطورية لا تسير في خطوط مستقيمة، من الأدنى الى ما هو أكثر تطوراً، بقوله: "ان مفاهيمنا حول التقدم والتطور والنشوء تجعلنا نفترض تلقائياً ان ما تطور بعد غيره في الزمن لا بد لهذا السبب ان يكون أكثر تقدماً ورقياً مما تطور قبله. ثم قادنا هذا الى استنتاج منطقي هو ان ما كان اقل تطوراً لا بد انه جاء قبل ما هو أكثر تطوراً، لذا كان الأقدم أكثر "بدائية" والأحدث أكثر "تقدماً"^(١٢).

يريد ليفي شتراوس ان يصل الى ان فكرة التدرج في الترقى الحضاري في التاريخ ليست صحيحة، ما دام العقل الإنساني واحد في جميع العصور وفي جميع المجتمعات. ان النظر الى التاريخ على انه متدرج لا يمكن تقريره بسهولة. صحيح ان العربات التي تدفع باليد أكثر بدائية من التي تجرها الخيول، وهذه الأخيرة أكثر بدائية من السيارات. ولكن من الصعوبة تطبيق نفس السياق على الحضارات البشرية، أي ان ليفي شتراوس لا يوافق على التفسير القائل بأن المجتمعات التي توصف بالبدائية "متدنية" في تفكيرها ومن ثم ارتقت البشرية انطلاقاً منها ثم ارتقت الى ما هي عليه الآن، وبالرغم من انه لا ينكر وجود مجتمعات بدائية: "المجتمعات البدائية موجودة، بالتأكيد، في التاريخ، وماضيها قديم قدم ماضينا، اذ انه يرقى الى أصول البشر. لقد تعرضت في أثناء آلاف السنين الى جميع أنواع التحولات ومررت في عهود الأزمات والرخاء، وعرفت الحروب والهجرات والمغامرات. غير انها تخصصت في سبيل غير السبل التي اخترناها. ربما

بقيت، من بعض النواحي، قريبة من شروط العيش القديم جداً، وهذا لا ينفي أنها تبتعد عنا، من نواحي أخرى، أكثر منا"^(١٣).

فالماضي ليس تخلفاً، ولم تكن الشعوب في الماضي تمر بمرحلة "الطفولة"، إنما كانت ناضجة حضارياً، والا يصبح بإمكاننا ان نصف حضارة أوربا وأمريكا الراهنة بعد مرور قرن من الزمن- على سبيل المثال- تمر بمرحلة الطفولة. فلا يمكن ان نصف المجتمعات القديمة "بالوحشية" مقارنة بالمجتمعات المعاصرة، "فخلال عشرات وحتى مئات ألوف السنين، ثمة كذلك أناس أحبوا وكرهوا وتأملوا واخترعوا وقاتلوا. في الحقيقة لا وجود للشعوب الطفلة، كل الشعوب راشدة، حتى تلك التي لم تكتب تاريخ طفولتها وفتوتها"^(١٤). فلو رجعنا الى الماضي لوجدنا، "ان الأنظمة السياسية الكبرى في أفريقيا القديمة وانجازاتها القانونية، ونظرياتها الفلسفية التي خفيت طويلاً على الغربيين، وفنونها التشكيلية وموسيقاها، التي تكتشف بطريقة منهجية، جميع الإمكانيات المتوفرة عبر كل وسيلة للتعبير، كلها دلائل على الماضي في غاية الخصب"^(١٥). ويقول ليفي شتراوس أيضاً: "ومنذ ثلاثة عشر قرناً مضت، صاغ الإسلام نظرية تضامن من جميع أشكال الحياة الإنسانية، التقنية الاقتصادية والاجتماعية والروحية، التي لم يكتشفها الغرب الا مؤخراً"^(١٦).

لقد اسقط ليفي شتراوس من حسابه النظريات التقليدية عن تقدم المجتمعات الإنسانية، فالتاريخ عنده حاضر آني، وهو ليس ماضياً فحسب، فالتاريخ ليس سلسلة أحداث في تقدم دائم، "التاريخ.... يعاد تأسيسه كلما حكيت الأسطورة او استرجع الماضي. وبدل ان يكون التاريخ سلسلة من الأحداث (الموضوعية) المرتبطة بمرحلة او مراحل معينة يغدو التاريخ حضوراً أنياً من تفاعل الأبنية العقلية الذي يقع في (لحظة) بعينها. ومادام الماضي قد أصبح بعض الحاضر، على هذا النحو، يسقط ليفي شتراوس من حسابه النظريات التقليدية عن التقدم او التطور"^(١٧). فالتفسيرات التقليدية تنظر الى الحضارات الى انها متدرجة، فهي تبدأ بالمجتمعات المتوحشة "البدائية" (كما يسميها الانثروبولوجيون) حتى وصلت بعد سلسلة من التطورات المطردة الى الحضارة المعاصرة، فالشعوب التي تسمى "متوحشة" كانت قد قطعت مراحل حاسمة من التقدم. ولا شك فان الأحداث

التاريخية تختلف حسب العصور والمجتمعات، إلا أن بنية المجتمع (أي مجتمع) ثابتة مهما اختلفت الأحداث التاريخية، فالبنية لا زمانية، لأنها فوق التاريخ. وليفي شتراوس يحذر من خطأ التصور بأن "التقدم" جاء نتيجة تدرج في الزمان من أدنى إلى الأعلى، لأن التقدم، في رأيه، يأتي بصورة "قفزات أو وثبات" تشبه قفزات أو ثبات حصان الشطرنج في حركته. حيث أن قانون اللعبة يجعل حركته قابلة لعدة احتمالات أو اتجاهات، نحو التقدم أو الإخفاق والنكسات، أي ليس شرطاً أن تكون الحركة في الاتجاه نفسه وكأن التقدم يسير بخط مستقيم، "أن الإنسانية في طريق تقدمها لا تشبه أبداً شخصاً "يصعد سلماً"، "مضيفاً بكل واحدة من حركاته درجة جديدة إلى كل الدرجات التي قطعها"^(١٨).

وعلى أي حال، أن حركة التاريخ تتسم بالتقدم والإخفاق، فالتاريخ لا يتطور في اتجاه واحد- حسب ليفي شتراوس. وإذا ظهرت حركة التاريخ في زمن ما سكونية أو تراجعية، فإن ذلك لا يعني أنها لم تمر بتحويلات ثقافية مهمة. وعلى هذا، فليس باستطاعة ليفي شتراوس رفض التاريخ تماماً، فهو: "لا يرفض التاريخ رفضاً كلياً شاملاً، كما أنه لا ينكر أن يكون من شأن كل مجتمع أن يتغير، لكن ما يريد وضعه وضع المناقشة، إنما هو- على وجه التحديد- ذلك (الدور) الذي ينسبه المعاصرون للتاريخ"^(١٩).

الخاتمة

وأخيراً يمكن التعقيب على نقطتين عند ليفي شتراوس تتضمن "موضوعية البنية"، إذ ذكرنا أن البنية أو النسق اللغوي نتاج جمعي وليس للفرد فاعلية في تشكيله. أما النقطة الثانية، فإنها تتمثل بفقدان عنصر "الأمل" في المستقبل.

نبدأ بالأولى: لقد تصور ليفي شتراوس البنيات أو الأنساق تصور موضوعي لا يجعل للإنسان فاعلية، في تقرير مصيره. فنستطيع أن نتصور "النسق" عبارة عن لوحة كتب عليها كل شيء، أو أن الإنسان "مبرمج" بأفكار واحدة من قديم الزمان، ولهذا يمكن النظر إلى النسق أو "البنية"

باعتبارها "موضوعية" أي منفصلة عن ذات الإنسان، لان الذي يقرر مصير الإنسان هو "النسق الاجتماعي"، فالبنية تتحكم في الإنسان وهو لا يتحكم فيها. "ان تصوير الأنساق او البناءات كما لو كانت تؤثر وتمارس فعلها وحدها دون ان يكون للإنسان دور فيها- اعني الميل الى جعل الإنسان "مفعولاً" لا "فاعلاً"- يعبر عن نزوع الى السلبية وقبول الأمر الواقع" (٢٠).

اما الثانية: فان الحركة البنوية لا تعطي عنصر "أمل" للمستقبل، لان أحداث الماضي، في رأيهم، تقص مراراً وتكراراً في الحاضر. وعلى هذا فانها لا تبشر بعهد جديد للبشرية. وهذا شرط أساس لقبول أية حركة فكرية، حسب رأينا. فالتاريخ في نظر ليفي شتراوس ساكن نسبياً، لان ما يظهر من فكر لدى الإنسان، بل ما سوف يتم الكشف عنه، موجود، من آلاف السنين، في البنية الاجتماعية. فالتاريخ يعيد نفسه مراراً وتكراراً مع بعض التغيرات الظاهرية.

وما تقدم من نقد لا ينفي المكانة المؤثرة للبنوية في جميع مجالات الفكر باعتبارها حركة لم يكتمل تصورهما الفكري وان لم تثبت علميتها لحد الآن.

المراجع والحواشي

(١) كلود ليفي شتراوس: ولد سنة ١٩٠٨، انثروبولوجي فرنسي. ابرز ممثلي البنيوية. من مؤلفاته: "المدارات الحزينة" و "الانثروبولوجيا البنيوية".

(٢) فرديناند دي سوسير: (١٨٥٧-١٩١٣)، عالم لغوي سويسري. يعد مؤسس علم اللغة الحديث. اهتم بدراسة اللغات الهندية الأوروبية. قال بان اللغة ظاهرة اجتماعية. أشهر آثاره "محاضرات في الألسنية العامة". كان لأبحاثه أثر بعيد في تكوين المدرسة البنيوية.

(٣) البنيوية: هي محاولة علمية منهجية في مجال الانثروبولوجيا بصفة خاصة، والعلوم الإنسانية بصفة عامة. والبنية هي تنظيم أو مجموعة العلاقات الباطنية المكونة لموضوع من الموضوعات. فبنية المجتمع هي شبكة العلاقات والروابط بين الأفراد والجماعات كالزواج والقرابة أو صلات الرحم والعلاقات الاجتماعية الأخرى. وهذه العلاقات تدخل ضمن قوانين عامة أو إطار أو نموذج يمكن بواسطته الاستدلال على تلك العلاقات أو الصلات بين الأجزاء. ولا بد من الإشارة هنا إلى إن البنيوية، بصفة عامة، قد تركت اثر كبير في نواحي المعرفة، في اللغة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والأدب، والتاريخ.... وبالرغم من عدم ظهور البنيوية على صورة أبنية عقلية كلية، فإنها أعطت إلهاما لظهور أفكار أخرى. وبالرغم من قلة الاهتمام بالبنيوية هذه الأيام. إلا انه سوف يأتي اليوم الذي سيظهر فيه المفكر الذي يكمل الطريق الذي بدأه البنيويون. وقد يحقق الآمال التي لم يحققوها. ولو إن بعض نقاد البنيوية يرى بان قدرتها على إيجاد "علم" للعلوم الإنسانية، يعتبر هدفاً من قبيل الأهداف المستحيلة. ولا شك إن طريق البنيويون لم يكن سهلاً، فقد كان الخلاف فيما بين روادها أنفسهم واضحاً. ويبدو انه من الأسباب الرئيسة للخلاف هو الطريق الذي سلكوه للوصول إلى انساق كلية بواسطة علم اللغة، طريقاً معقداً وصعباً. ولهذا فقد مرّ المنهج البنيوي بعمليات تغيير مستمر، جعل من الصعوبة على البنيويين أن يصلوا إلى مقصدهم، أي الوصول إلى منهج علمي عام للمعرفة في العلوم الإنسانية.

قد يقال إن البنيوية ماتت، ولكن الحقيقة هي إن الضجة حولها قد خمدت. فالبنيوية موجودة قبل ظهورها على يد كلود ليفي شتراوس، وقبل أن يبشر بها باعتبارها "منهج"، فهي موجودة في "اللغة"، وموجودة اصلاً في العلوم الطبيعية أي الأنساق الرياضية للقوانين العلمية. لهذا أصبح من الصعوبة الكلام عن موت البنيوية.

(٤) فرديناند دي سوسير: محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد نصر، دار النعمان للثقافة، بيروت، ١٩٨٤، ص ٢٤.

(٥) ما قبل المنطق: وضع هذا المصطلح "ليني بريل" (١٨٥٧-١٩٣٩) عالم الاجتماع الفرنسي. ويعني به إن البدائيين لا يفكرون بطريقة منطقية، فلا يربطوا في تفكيرهم بين الشيء ونقيضه، لذلك اعتبر هذا النوع من التفكير سابق على تفكيرنا المنطقي.

- أما كلود ليفي شتراوس فقد رفض هذا التفسير، فهو يرى إن البدائيين عرفوا الأشياء وأضدادها، فميزوا بين الحار والبارد، والنيئ والمطبوخ.
- (٦) لوكرينس كار: (٩٩-٥٥ ق م)، فيلسوف مادي روماني، لديه قصيدة شعرية فلسفية تتضمن فكرة التطور البيولوجي عنوانها "في طبيعة الأشياء".
- (٧) فؤاد زكريا: الجذور الفلسفية للبدائية، ط٢، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦، ص١٤-١٥.
- (٨) الثقافات المتوازية: تعني فكرة "التوازي" عند ليفي شتراوس، بان التصورات الإنسانية لا تتطور بصورة تدريجية من فكر بدائي "ساذج" الى فكر علمي واع. ان أساس تفكير الإنسان واحد، البدائي والحديث، فليس هناك تصورات عقلية قبل منطقية، او ما يسميه بعض علماء الاجتماع "الصور الدنيا للشرح"، بل هناك توازيات في التصورات، نقاط تلاق، انه ليس من تصور قديم قد تم تخطيه وتصور حديث ثبت صدقه.. ان رأي البنيوية من شأنه ان يززع فكرة تاريخ الإنسانية.
- (٩) كلود ليفي شتراوس: العرق والتاريخ، ترجمة سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٢، ص٢٧.
- (١٠) كارل بوبر: عقم المذهب التاريخي (دراسة في مناهج العلوم الاجتماعية)، ترجمة عبد الحميد صبرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ١٩٥٩، ص٦٠.
- (١١) المصدر نفسه. ص٦.
- (١٢) أشلي مونتاغيو: المغالطة في مصطلح "بدائي" كتاب (البدائية)، ترجمة محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٢، ص١٢.
- (١٣) كلود ليفي شتراوس: الأنثروبولوجيا البنيوية، ترجمة د. مصطفى صالح، ج٢، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٣، ص٤٥-٤٦.
- (١٤) كلود ليفي شتراوس: العرق والتاريخ، ص٢٣.
- (١٥) المصدر نفسه. ص٢٧.
- (١٦) المصدر نفسه. ص٣٥.
- (١٧) اديت كيروزيل: عصر البنيوية (من ليفي شتراوس الى فوكو)، ترجمة جابر عصفور، ط٢، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦، ص٣٥.
- (١٨) كلود ليفي شتراوس: العرق والتاريخ، ص٢٨.
- (١٩) زكريا إبراهيم: مشكلة البنية او (أضواء على "البنيوية")، مكتبة مصر، القاهرة، ص١٠٧.
- (٢٠) فؤاد زكريا: الجذور الفلسفية للبنائية، ص٦٠.